أناشيد صوفية

جيتـــانجالى

للشاعر الفيلسوف طاغور

بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب

— ٨٢ —

يا أماه ، سأنظم من عبراتى ... عبرات الأسى ... عقداً جميلاً أزيّن به جيدك

لقد أحسنت الكواكب صنعة الخلاخيل الضوئية لتزين بها قدميك ، ولكن عقدي سيكون على صدرك

إن الثراء والشهرة هما بعض نفحاتك ، وهما لك حين أمنح وحين أمنع ؛ ولكن أشجانى هى لى وحدى ، وحين أقدمها إليك تبدّلينى بها عطفاً وحناناً

— ٨٣ —

إنها غصة الانفصال هى التى تنتشر فى أرجاء العالم فتحور فى الفضاء اللانهائى أشكالاً وفنوناً عديدة

إنه أسى الانفصال هو الذى ينبعث — فى صمت الليل — من نجم إلى نجم ثم يرتد إلى لحن بين حفيف الأوراق فى حلوكة الليالى المطيرة من شهر يوليه

إنه الألم العميق الذي يهبط إلى قرار الحب والرغبة ، إلى الآلام والأفراح فى دور الناس . وإنه هو الذى يذوب دائماً فيفيض فى قلبى الشاعر ألحاناً

— ٨٤ —

حين يخرج الجند — لأول مرة — من فناء سيدهم ، أين كانوا يخفون قوتهم ؟ أين كانت دروعهم والسلاح ؟

لقد كانوا يبدون مساكين لاحول لهم ولا جاه ، وهم يحملون القِسىّ والسهام أول ما خرجوا من فناء سيدهم

وحين يرتدون إلى فناء سيدهم ، أين يوارون قواتهم ؟

لقد طرحوا السيف جانباً ، وألقوا القوس والسهم ، وعلى جباههم ترف نسمات السلام ؛ غير أنهم خلفوا من ورائهم ثمار حياتهم حين ارتدوا إلى فناء سيدهم

— ٨٥ —

إن الموت ، وهو خادمك ، يقف ببابى . لقد اجتاز البحر المجهول ليبلغنى رسالتك

الليل داج ، وقلبى ينتفض من أثر الرعب ... ولكنى سأحمل مصباحى ، وأفتح بابى ، وأرحب به ، لأنه هو رسولك الذى يقف ببابى

سأتوسل إليه فى ذلة وأسكب الدمع أمامه . سأتوسل إليه ، وأضع كنز قلبى عند قدميه

سيرتد وقد أتم عمله ونشر ستاراً حالكا على صباحى ، ونفسى الضعيفة ما تنفعك في دارى الموحشة لتكون قربانى الأخير إليك

— ٨٦ —

وفي أمل اليائس انطلقت أفتش عنها فى زوايا حجرتى ؛ فما وجدتها

إن دارى صغيرة ، وما فقد منها قل أن يعود ثانية

ولكن اللانهاية — يا سيدى — هى قصرك المشيد ، وحين رحت أفتش عنها وقفت ببابك

وفى الليلة الظلماء وقفت تحت عرشك الذهبى ... تحت سمائك ورفعت بصرى إلى وجهك

له فيها شيء من العزاء

وقد تلقيت القصيدة وتأملت الخط ، فعرفت أنها من ليلى غير ليلاى

ونشرت جريدة العقاب كلمة قالت فيها إننى شرعت فى تعلّم الطب ، وذلك دليل جديد على أن شهرتى الأدبية أضاعت منزلتى فى عالم الطب ، فمتى يشفينى الله من الغرام بالأدب وصحبة الأدباء ! آه ! آه !

هذا خبر جديد ، فقد أخبرنى الدكتور حسين كامل أن الزيات سيحضر إلى بغداد لشهود المؤتمر الطبي ، وأنا أفهم جيداً ماذا يريد . وهل تجوز علىّ الحِيَل وأنا خِرّيج مونبارنّاس ومونبارنّاس؟ هيهات هيهات !

أترك هذا العبث فى تدوين مذكراتى ، وأمضى لعيادة ليلى ، فقد طال الشوق إلى صوتها الرخيم و ... عينيها الناعستين . أليست هى التى قالت : فراقك صعب ، سيّدى !

فراق صعب ؟ نعم ، إن ليلى تقول ذلك ، والقول ما قالت ليلى ، ولو كره السفهاء من العذال

(للحديث بقية)

زكى مبارك

جئت إلى حافة الأبدية حيث لا شيء يغنى ... لا الأمل ولا السعادة ولا وجهك وهو يتراءى من خلال العبرات

أوه ، أغمس حياتى الخاوية فى هذا الخضم ، وأغمرها فى أعماق الكمال ثم دعنى استشعر — مرة واحدة — اللذة المفقودة فى لمسة من لمسات خلود العالم

— ٨٧ —

يا إله المعبد الخرب ! قد انقطعت أوتار القيثارة التى أوقع عليها لحن الثناء عليك ، والنواقيس — فى سكون الليل — لا تعلن عن ميعاد الصلاة لك ؛ والهواء حواليك ساكن هادىء

لقد هبت نسمات الربيع فى مسكنك الخالى وفى عطفيها سيل من الزهور ... الزهور التى لا تقدم إلا فى أوقات عبادتك

وعبدك ، عابر السبيل ؛ ما يزال يلحف ، يطلب بعض رحمتك فما ينال شيئاً ، وفى النسق ، حين تختلط النار والظلماء بما على الأرض من كآبة وعبوس ، يرتد هو إلى معبدك الخرب وفى قلبه الظمأ

يا إلـه المعبد الخرب ! كم من عبد يقبل إليك فى صمت ! وكم من ليلة من ليالى التهجد تدبر وفى أضعافها سراج منطفىء !

وكم من صورة جميلة زوقتها يد الفن الخادع ثم هى تندفع فى مجرى النسيان المقدس حين يأتى عليها الزمن

ولكن إله المعبد الخرب ما يبرح فى منأى عن العبادة فى إهمال مروع

— ٨٨ —

لا صخب ولا صياح ... تلك مشيئة سيدي ؛ لذلك سأتحدث فى همس ، وسيكون صوت قلبى دندنة فيها نغم لحن

إن الناس يشتدون إلى سوق الملك ، وهناك البيّعان ؛ غير أنى رجعت قبل أن يحين وقت الانصراف ... غادرت السوق عند الظهر وهو ما يزال يموج بالناس

إذن دع الأزهار تتفتح فى حديقتى وإن لم يكن قد آن أوانها ، وأرسل النحل في الهاجرة يطن طنينه الضعيف

لقد قضيت ساعات طوالاً فى صراع حادّ بين الفضيلة والرذيلة ؛ والآن ها هو رفيقى يريدنى على أن ألقى بقلبى بين يديه ؛ وأنا لا أدرى ، لعلما أراد أن يدفعنى إلى ما لا خير فيه

كامل محمود حبيب

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٣٤٥ — لعبة الدبوق

فى (نثار الأزهار) لابن منظور : الدَّبُّوق [1] كرة شعر ترمى في الهواء ، ثم يتلقاها الغلام ضارباً لها تارة بصدر قدمه ، وتارة بالصفح الأيمن من ساقه اليمنى ، رادّاً إياها إلى العلو على الدوام . ومن بديع التشبيه قول الأرّجانى فى غلام يلعب بالدبوق :

يهتز مثل الصعدة السمراء
فقدُّه من شدة التواء
كالغصن تحت العاصف الهوجاء
تراه من تمدد الأعضاء
كأنه كواكب الجوزاء

٣٤٦ — انما رغبتنا فى العفاف

فى (كنايات الأدباء) لأحمد بن الجرجانى الثقفى : من كناية العامة : إذا قال أحدهم : سلامتها خير من كل شى . فقد ولدت امرأته اثنين فى بطن ...

وإذا قال : انما رغبتنا فى العفاف . فقد تزوج قبيحة فقيرة...

وإذا قال : لقمة البيت أطيب من كل شىء . فقد فاتته دعوة

وإذا قال : وما شهدنا إلا بما علمنا . فقد ردت شهادته فى حق من شهد له ...

وإذا قال : مابحلال الله من باس فقد تزوجت أمه ...

٣٤٧ — الاقتصاد ، البخل

فى شرح النهج لابن أبى الحديد : الفرق بين الاقتصاد [2] والبخل أن الاقتصاد تمسك الانسان بما فى يده خوفاً على حربته وجاهه من المسئلة ، فهو يضع الشىء موضعه ، ويصبر عما لا تدعو ضرورة إليه ، ويصل صغير بره بعظيم بشره ، ولا يستكثر من

(١) الدبوق كتنور لعبة يلعب بها الصبيان معروفة (التاج)

(٢) ما عال من اقتصد ولا يعيل أى ما افتقر من لايسرف فى الانفاق ولا يقتر (النهاية) واقتصد فعل لازم